

حوار مع "ألي ديمير"

نعرض في هذه العدد حوار صحفي مع "أولي ديمير"، منسق مشروع كونيكشينز. يزود هذا المشروع، الذي يوجد مقره في تورنتو، الأفراد والمنظمات المعنية بالبدائل البيئية والاجتماعية بالمعلومات والخدمات. يتحدث "أولي ديمير" في هذا الحوار، الذي أجراه "جيف أورتشارد"، عن مختلف القضايا التي تتعلق بالتغيير الاجتماعي.

س: قضيت مدة طويلة كناشط في حركة التغيير الاجتماعي. هل تغيرت أراؤك تغيرا واضحا خلال تلك الفترة أم لا تزال كما هي؟ ما رأي "أولي ديمير" في بداية تلك المرحلة في "أولي ديمير" الآن؟ ما التغييرات التي يمكنك أن تلاحظها؟

"ألي": نحن آخر من يستطيع ملاحظة التغييرات التي تطرأ علينا أو أننا نشعر بصواب هذه التغييرات ربما لنخدر ضمائرنا. لكنني لأرى أن أرائي تغيرت كثيرا من حيث المبادئ والثوابت. لقد قرأت مؤخرا بضع موضوعات كتبتها منذ ما يقرب من 15 عاما ووجدت أن طريقة تعبيرتي عن بعض الأفكار تغيرت قليلا. أعتقد أنني أصبحت كاتب أفضل لا أكثر. وجدت أن ما لا أوافق عليه الآن قليل جدا ويتعلق ببعض التفاصيل.

س: إن كان الأمر كذلك فثمة من سيتهكم بالفشل في مواكبة العصر، فالعالم تغير. نحن الآن في عصر الكمبيوتر، ألا ينبغي علينا تغيير طريقة تفكيرنا وعدم التمسك بالأفكار القديمة التي كانت رائجة منذ 25 أو 100 عاما؟

"ألي": أعتقد أن مشكلة مجتمعنا هي الاعتقاد أن كل شيء يجب أن يكون جديد ومختلف. لا أعتذر عن إيماني بأفكار "قديمة". لا تعود بعض أفكارني إلى 25 أو 100 عام مضت ولكن إلى 2000 عاما أو يزيد. من وجهة نظري تصلح هذه الأفكار لهذا الزمان كما كانت تصلح في الماضي. أعتقد أنه ينبغي علينا التمييز بين ما هو أساسي وما هو غير أساسي. بالطبع يجب أن يتغير تحليلنا للأمور بحسب الموقف، فلن يفيد تحليل مكتوب عام 1969 عن الوضع السياسي في أوروبا الشرقية الآن. نحن بحاجة لتعديل طريقة

قيامنا بالأشياء. لم أكن أستعين بالكمبيوتر في أنشطتي السياسية عام 1969، بينما أستخدم الكمبيوتر الآن باستمرار، لكنني أستخدمه لتحقيق الأهداف نفسها.

س: ما هي هذه الأهداف؟ يعرف عنك أنك ماركسي وداعم لما يسمى ب"الاشتراكية الفوضوية" هل لازلت تستخدم هذه المفردات لتوصيف نفسك؟ ماذا تعنى بذلك؟ ألم يفقد انهيار أوروبا الشرقية الإيمان بالماركسية وبالاشتراكية؟

"ألي": قد تعرف أنه لطالما اعتبر اتجاهي السياسي النظام السوفيتي خيانة تناقض تعريف ماركس للاشتراكية. لم تكن اشتراكية تلك المجتمعات أكثر مما كانت محاكم التفتيش بالنسبة إلى المثاليات التي نادى بها المسيح. تفترض الاشتراكية، طبقا لتعريف ماركس، تفكيك الدولة كما نعرفها وإعطاء الأفراد أكبر قدر من الحرية وخلق مجتمع ديمقراطي للغاية وحرية التعبير والعلاقات وإلغاء الرقابة وعقوبة الإعدام. إن انعمت النظر فيما كتب ماركس، ستجد أن كل أفعال حكام الاتحاد السوفيتي الديكتاتوريين الهامة كانت على النقيض تماما مما نادى به ماركس. لقد أوضح ماركس وأنجلز أن إحلال ملكية الدولة محل الملكية الرأسمالية لا ينتج سوى ظلم تام، فما ذلك إلا رأسمالية دولة تحل محل رأسمالية الأفراد. حذرت روزا لوكسومبيرج عام 1918 من أن المنهج الذي اتبعه البلاشفة سيقوض كل احتمالات تطبيق الاشتراكية في روسيا.

س: لكن لماذا لا تزال تطلق على نفسك اشتراكي في حين يرى الكثيرون أن الاشتراكية مرتبطة بفضائح الستالينية؟

"ألي": هذا السؤال في محله تماما. لم يعد الكثير من الذين يشاركونني وجهة نظري تخلوا عن هذا المسمى وانتقوا مسمى آخر أو تجنبوا تسمية ما يعتنقونه. أي أفهم ذلك، وعادة لا أبدأ حديث عن السياسة بالزعم أنني اشتراكي. عندما تدعو نفسك اشتراكي الآن يتجه الناس نحو غلق عقولهم ولسان حالهم يقول: "أعلم عنك كل شيء. لا داعي من الاستماع إليك."

لكن ما يدعوني حتى الآن لتسمية نفسي ماركسي واشتراكي هو إنني كذلك. أو من بصحة هذه الأفكار، حيث أرى أن أفكار ماركس مازالت عميقة وأكثر مصادر الأفكار فائدة فيما يتعلق بفهم طريقة سير وتغيير المجتمع، وإن لم ينطبق ذلك على كل التفاصيل بطبيعة الحال. كان ماركس مخطئا بشأن بعض الأشياء ويختلف العالم الآن كثيرا عن تلك الفترة التي عاشها.

لكنني لا أزال أعتقد أنه يجب أن تكون جذور أي جهود لتحويل العالم إلى عالم أكثر حرية وعدالة أمنا بيئيا هي المنهج الماركسي والماركسي، سواء ذلك بوعي أو بدون.

إن أمنت بذلك يمكنك أن تدعو نفسك اشتراكي وماركسي لأنك إن أردت أن تجعل الناس تلقي نظرة على ما كان ينبغي أن يقوله ماركس وأفضل الماركسيين مثل لوكسومبيرج، ستزيل الغبار والتشوهات المترامين عليهم إن عاجلا أم آجلا.

س: أين يصلح مصطلح "الاشتراكية الفوضوية" إذن؟

"ألي": ألقى مصطلح فوضوي بالاشتراكية للتأكيد على أن الاشتراكية تدعو للحرية والديمقراطية قبل أي شيء آخر. السبب الآخر هو جعل المصطلح استفزازي لإثارة النقاش ودفع الناس إلى التساؤل عن تناقض المفردتين وهذا ما يجعلك تقول: "لا أظن ذلك وتستمر في مناقشة الأمر."

س: حتى وإن كانت الاشتراكية اتجاه جيد من حيث المبدأ ألا تعتقد أنها غير واقعية؟ ألا ترى أن العالم يسير في الاتجاه المعاكس؟ هل تمكنت حركة التغيير الاجتماعي من انجاز كل الأهداف؟

"أولي": من المؤكد أنها معركة صعبة. تميل الظروف في العالم نحو الأسوأ وليس الأفضل. ولكن من يدري حينها؟ أليس ما كنا نعهده احتمالات منذ خمس سنوات حدث بالفعل في أوروبا الشرقية؟ مما لاشك فيه أنه كان لحركات التغيير الاجتماعي عظيم الأثر. لقد لعبت حركة تحرير المرأة وحركة حماية البيئة والاتحادات دور كبير في تغيير القواعد الأساسية التي تحكم المجتمع. ربما لم يستطع النظام تقويض أو استخدام هذه الحركات إلى حد ما، لكنه أضطر للاستسلام.

لقد كان هناك الكثير من الانجازات على المستوى الدفاعي مثل الحيلولة دون الانحدار نحو الأسوأ ودون حدوث أمور ضارة على المستوى المحلي مثل منع إنشاء مفاعل نووي أو حركة مناهضة الحرب في فيتنام، التي ساعدت في منع الولايات المتحدة من إحداث المزيد من الدمار للفيتناميين، حتى وإن لم تتمكن من منع قيام الحرب. بالطبع عندما تعمل على إحداث تغييرات جوهرية، لن يرضيك كثيرا معرفة أن ما فعلته هو فقط منع الأمور أن تزداد سوءا. لكن أحدثت انتصاراتنا الصغيرة تغييرات هامة في حياة الكثير من الناس من ضمنهم نحن. نشعر ببعض من الرضا عن هذا، مع أننا نحاول أن نحقق إنجازات أعظم.

س: إن هي معركة صعبة حقا ، ألا تشعر أحيانا بالرغبة في الاستسلام وإعلان الهزيمة؟

"ألي": لا معنى للاستسلام، فأنت لست في أوروبا الشرقية عام 1970 أو في العراق إبان حكم صدام حسين. إن كنت مهدد بالقتل أو الاعتقال لمعارضة النظام، فسيكون هذا سببا مقنعا للامتناع عن الوقوف في صفوف المعارضة السياسية رغم أنني أو من أننا نتمتع الآن برفاهية الجلوس معا الآن بفضل بعض الناس الذين واتتهم الشجاعة للمقاومة تحت مثل هذه الظروف. إن كنا نتمتع ولو بقدر يسير من الحرية والديمقراطية في بعض الأماكن في العالم، فهذا بفضل إرادة أولئك الذين خاطروا بحياتهم وحريتهم عندما كانت الظروف أسوأ مما هي عليه الآن. لا يوجد الكثيرون يطبقون قضاء ربع قرن في السجن دفاعا عن مبادئهم مثل نيلسون مانديلا. لكن إن تحققت الديمقراطية في جنوب أفريقيا فسيكون ذلك لأن مانديلا وآخرين مثله رفضوا الاستسلام رغم كل العوائق. لا تحتاج قدر كبير من الشجاعة لتصبح ناشط في كندا.

س: لكن ألا تميل للتخلي عن مبادئك إن حالت الظروف دون تحقيق ما تؤمن به باعتبار أن ذلك أمر ميئوس منه؟

"ألي": هذا ليس بأمر ميئوس منه. يمكن أن تحدث فرق حتى وإن لم يطل بك العمر لرؤية أسمى غاياتك تتحقق. يمكنك من خلال الإسهامات البسيطة أن تجعل العالم أفضل وأكثر إنسانية قليلا. يمكنك على الأقل أن تساعد في وضع الأساس للأجيال القادمة حتى تكمل ما بدأته. شاركت أجيال متعاقبة في مناهضة سياسة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. رحل أغلب الذين بدأوا النضال، لكن سيكون لدورهم نصيب كبير من النجاح الذي ستحققه الحركة في النهاية. يفعل البشر الكثير من الأشياء التي لن يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة حتى يروا ثمارها، فنحن نزرع الأشجار ونترك الأموال للأحفاد. يتطلب خلق مجتمع حر بحق أجيال، لكنني أرى أن الأمر لا يتعلق بفرص "الفوز" رغم أنني أريد الفوز. لن يختلف الأمر بالنسبة لي إن كانت نسبة النجاح فيه 5% أو 95%. أنا أعمل لتحقيق مبادئ محددة لأنني أو من بها. هل من المفترض أن أتجاهل الظلم الذي أمقته إن كان راسخا؟ هل من المفترض أن أنظاها بأنني لم أكن أريد تحقيق الحريات التي أو من بها إن رأيت أن احتمالات إنجازها ضعيفة. كيف أستطيع أن أتعايش مع ذلك؟ نحن ندين بحريتنا وحقوقنا التي نتمتع بها لأولئك الذين لم ينتظروا الظروف الملائمة، هذا بدون ذكر ضمانات النجاح.

في الحقيقة لا أفهم الذين يتخلون عن مبادئهم. لا أعني أنه منتظر من الجميع أن يخاطروا بأنفسهم في كل القضايا. يمكنني أن أفهم أن البعض ينسحب لأن العمل أضناهم أو لأن لديهم أطفال أو لأنهم يعانون من مشاكل صحية أو اضطرابات عاطفية. تتفاوت الإسهامات التي نستطيع تقديمها بحسب ظروفنا. نحن نقوم بما نستطيع القيام

به. لكن هذا يختلف تماما عن التخلي عن مبادئك، فحين تفعل ذلك تخون نفسك، فكأنك تقول أنك لا تبالي بالظلم طالما أنك تحارب وحدك وأنك لا تهتم بمعاناة الآخرين طالما أنك لا تعاني ولا بحرية الآخرين طالما أنك حر. إن هذا في رأيي تخلي عن إنسانيتك. لقد التزمت برؤية محددة للتغيير الاجتماعي لأنني بهذه الطريقة فقط أكون صادقاً مع نفسي. لا يمكن أن أحيأ بطريقة مختلفة. أشعر بالأسى نحو الذين استسلموا. ومع أنهم كثيراً ما يعتقدون أنهم على صواب، لا تبدو عليهم السعادة.

س: ماذا عن القول بأن المجتمع الذي تدعو إليه يعد نموذجاً للمدينة الفاضلة وأن أنانية الناس وعدم جدارتهم بالثقة تحول دون مجتمع ديمقراطي حر؟ ألا ترى أن إيمانك أن الخير هو الأصل في الإنسان مبالغ فيه؟

"ألي": لا أعتقد في طبيعة الإنسان الخيرة بل أعتقد أن أنها خليط معقد ومتناقض من الخير والشر وأنها سهلة التطويع أيضاً. الأمر يقوم على ما يفعله المجتمع لإخراج طاقات الناس الكامنة. يميل مجتمعنا لإخراج أسوأ ما فينا. قد يساعدنا مجتمع آخر في إدراك قدرتنا على الإبداع والتعاون والاهتمام بالآخر. في كل الأحوال القول بأن الناس أنانيين وغير جديرين بالثقة يدعم الديمقراطية. هذا بالضبط هو السبب وراء عدم الثقة في أن يتولى السلطة فرد واحد أو مجموعة صغيرة من الناس. عادة ما يفسد الذين يتولون السلطة لأنهم أنانيين وغير جديرين بالثقة مثل الآخرين. إن هذا من أهم أسباب الحاجة لسلطة غير مركزية ديمقراطية وللمشاركة في السلطة بأكبر قدر ممكن.

س: هل أنت أكثر تفاؤلاً باحتمالات التغيير بعد الأحداث الأخيرة في أوروبا الشرقية؟

"ألي": ما حدث هناك مثال على ما يمكن أن يحدث. هناك مجتمعات ظلت أسيرة لأنظمة حكم سلطوية صارمة لخمسة وأربعين عاماً أو يزيد لكن إن تحدثت مع الناس هناك أو فهمت المجتمع، ستجد أغلب الناس يعبرون عن خصوصية أفكارهم ويؤمنون بها. هذا التغيير الجوهرى كان مستحيلاً وبالتأكيد لم يكن ليحدث سريعاً. كان أغلب الناشطين الذين عارضوا الأنظمة بشجاعة يؤمنون بأن ما يستطيعون إنجازه هو تفكيك بطئ أو بناء تدريجي يتطلب جهد كبير من شبكات وحركات اجتماعية بديلة. قد تجد في مدينة مثل ليزيغ أو براغ عشرات أو مئات قليلة من الناشطين الذين ينظمون احتجاجات ضد الحكومة أو يقومون بأنشطة أخرى للمعارضة، بينما لا يشاركونهم الآخرون اعتقاداً منهم أن ما يفعلونه خطير وغير مأمون العواقب وأنهم سيتعرضون للمشاكل أو يزج بهم في السجون أو يرققوا من العمل جراء ذلك. ثم تغيرت الظروف، ويرجع ذلك، إلى حد ما، إلى تغير وعي الناس. فالذين كانوا غير فاعلين سياسياً و يجلسون في منازلهم نزلوا فجأة إلى الشارع بالآلاف ثم بمئات الآلاف.

يرجع ذلك إلى حد ما إلى شئ ما حدث في وعيهم عندما أحسوا أن التغيير ممكن. تحرروا من عبأ ثقيل وأحسوا فجأة أنهم قادرون على النزول للشوارع ، وبدأوا يؤمنون أن التغيير ممكن. لقد أصبح هذا ممكنا لأن الآخرين خالجهم الشعور نفسه. وسقطت هذه الأنظمة في غضون أشهر قليلة.

س: ما شعورك حيال الأحداث التي شهدتها هذه البلاد منذ الإطاحة بالشيوعيين؟

"ألي": لدي مزيج من المشاعر المختلفة، فأنا سعيد بالإطاحة بالحكام الديكتاتوريين وبالاتجاه نحو مجتمعات أكثر حرية وتنوع. أعتقد أن الانغماس فيما يسمى رأسمالية السوق الحر سيؤدي إلى كوارث اجتماعية واقتصادية عظيمة. يظن الأوروبيون الشرقيون أن مستوى معيشتهم سيرتفع ليصل لمستوى معيشة أغلب أفراد الطبقة الوسطى في أوروبا الغربية أو أمريكا، لكن سينتهي الحال بكثير منهم إلى أن يصبحوا بمستوى العمال المهاجرين أو المنبوذين الأمريكيين. بلا شك سيكون حال البعض أفضل لكن ستسوء الحالة الاقتصادية لأغلبهم، حتى أن البعض قد يحن لأيام ستالين. أشعر بالقلق أيضا حيال ظهور العداوات العنصرية القديمة مرة أخرى. يبدو أن الكثيرون اتجهوا إلى شعور بالكراهية يعود لخمسين عاما مضت بعد التخلص من الديكتاتورية التي طالما بغضوها. بدأ بعض البلغاريين يعادون الأقلية التركية وبدأ الرومانيون يضطهدون الأقلية المجرية. ازدادت الفاشية في ألمانيا خاصة حركة الشباب ومناصرو حركة السكين هيد (1) وحركات أخرى مشابهة.

س: ما ردك على من يقول أن مجتمع السوق الحر هو الوحيد القادر على "توصيل السلع" وخلق مجتمعات حرة تتمتع بالرخاء؟

"ألي": بالطبع هذه هي أكبر أسطورة في وقتنا الحالي. من البديهي أن تكون مجتمعات السوق الحر محررة نحو النمو الاقتصادي والرخاء، لكنها تنتج أشكال كثيرة جدا من عدم المساواة. بينما نحن جالسون هنا نحتمي القهوة ونشعر بالراحة لسير الأمور على هذا النحو، يعيش أولئك الذين زرعو وحصدوا هذه القهوة والذين يبذلون جهد أكبر منا في العمل في فقر مدقع. نحن نصنع سوق القهوة الحر معا لكننا حين نفكر بالسوق الحر نفكر فقط في أنفسنا وأحوالنا الجيدة. ما هذه العلاقة إلا مثال مصغر لشكل السوق الحر. إنه نظام علاقات يشمل العالم بأكمله ونحن ننظر لنسبة ال10% أو ال20% التي تقع أعلاه ونتصور أن هذا هو السوق الحر وهذا غير صحيح. يكون النظام بأكمله السوق الحر. يؤدي هذا النظام إلى فقر وبؤس ودمار بيئي أكثر مما يحقق من رخاء. لا يحدث هذا مصادفة لا يعني عدم وجود السوق الحر في أفريقيا وأمريكا الجنوبية بعد أنه لم يصل هناك حقا، فأولئك الناس يعملون الآن، يزرعون البن أو أي شئ آخر للسوق الذي نمثل أنا وأنت جزءا منه.

هنا، في هذه المدينة التي تعد من أغنى المدن في أكثر دول العالم رخاء والتي بها سوق حر، يوجد الآلاف من الناس بلا مأوى. إذا توجهت نحو هذه النافذة، ستري اثنين منهم، أحدهما امرأة تعيش وتنام في الشارع والأخر رجل يقضي يومه في المدخل. هناك عشرات الآلاف مثلهم. يعيشون على التبرعات ويأكلون من بنوك الطعام. هناك أكثر من مليون عاطل في هذا البلد الغني، حيث وصل معدل البطالة لأكثر من 15% في بعض المناطق في هذا البلد. تدهورت صحة كثير من العاملين من جراء المواد الكيماوية والألياف الموجودة في أماكن عملهم لكنهم لا يستطيعون ترك العمل لأنهم بحاجة لتلك الوظائف. لا يوصل السوق الحر السلع لأغلب سكان العالم بل يوصل كثير من السلع لقليل من الناس، مستويات معيشة جيدة لعدد أكبر وأقل من ذلك بكثير للأغلبية. ليس السوق الحر هو سماسرة البورصة في باي ستريت، الذين يجنون مئات الآلاف سنويا، بل أيضا عمال النظافة في تلك المباني، الذين يحصلون على 7 دولار في الساعة. أما فيما يخص تحقيق الديمقراطية والحرية السياسية، فلا عليك سوى أن تنظر إلى الخريطة وتذكر نفسك بأن أنظمة أغلب الدول التي تتبع نظام السوق الحر سلطوية وقمعية.

ينبغي تمحيص مفهوم السوق الحر. مصطلح السوق الحر كحصان طروادة فكري يضم أفكار متنوعة مختلطة. يفترض مؤيدو السوق الحر أن الأمور تسير على ما يرام دون القول بأن الأسواق الحرة تعني الملكية الرأسمالية الخاصة لمشروع اقتصادي، بمعنى أنه نظام يسيطر فيه بعض الأفراد على الثروة ويستأجر كثير من الناس ليعملوا لديهم دون أن يكون لهم حق الملكية أو الإدارة. لا يوجد مبرر لذلك. يمكن، على سبيل المثال، أن تكون هناك معاملات سوق حر بين الشركاء أو بين المشروعات التي يملكها العمال أو بين شركات القطاع العام. تعني حاجة السوق الحر أنك ستنتج وتتبادل السلع والخدمات على أساس العرض والطلب.

س: هل تعني أن الملكية الفردية خطأ؟

"ألي": لا ليس بالضرورة. قد تصلح في بعض الحالات وقد لا تصلح أحيانا أخرى. لا يمكن أن يصلح شكل واحد من أشكال المشروعات أو الملكيات في كل الحالات. فمثلا يعد نظام الملكية الفردية الأفضل إذا كنت تملك مشروع صغير أو مطعم أو متجر صغير أو عيادة طبيب أسنان. قد يصلح الشكل التعاوني أيضا في هذه الحالة، لكن ذلك يعتمد على الأفراد المتعاونين. محاولة فرض نظام الملكية العامة على المشروعات الصغيرة ستؤدي إلى نتائج فظيعة. قدمت أوروبا الشرقية أدلة تثبت ضرورة ذلك. لا أري أي سبب لتدخل الدولة مباشرة في هذا النوع من المشروعات فيما عدا وضع قوانين منظمة للمطاعم أو مثل هذه المشروعات. على الجانب الآخر، أعتقد أنه يجب أن تكون المؤسسات الكبيرة كالبنوك وشركات البترول ملكية عامة. لا أري أي مبرر

للسماح بالقطاع الخاص بتملك مواردنا الطبيعية. كيف تفسر السماح لشركة ما "بتملك" غابة أو احتياطي البترول أو نصيب الأفراد في الأسماك؟ يجب أن تظل هذه الموارد ملك للشعب، بما في ذلك الأجيال القادمة.

س: ما هو المعيار برأيك؟ ما الحد الذي ينبغي أن يصل إليه المشروع حتى تكون الملكية العامة هي الأصلح؟

"ألي": لا يمكنك وضع حد عشوائيا. كلما ازداد حجم المشروع وازداد عدد العاملين به وازدادت نسبة الموارد المستخدمة وازداد تأثيره على البيئة والمجتمع، كلما زادت الحاجة لتدخل الدولة فيه. الملكية ليست هي الطريقة الوحيدة، بل هناك وسائل أخرى يستطيع أن يشارك بها الشعب مثل السياسات الضريبية التي تشجع أو لا تشجع أمور معينة أو القوانين الخاصة بالمحافظة على البيئة والتشريعات. أي كانت الأشكال المختلفة للملكية أعتقد أن النشاط الاقتصادي بحاجة للمزيد من التدخل الديمقراطي. لا يجب أن نقع في فخ الاعتقاد بأن ملكية الدولة هي الطريق الأوحده لممارسة السيطرة الديمقراطية بشكل أكبر، فهناك العديد من الطرق. نحن بحاجة للإبداع والمرونة والاستماع للعاملين في مجالات أو مشروعات محددة، فهم الأقدر على إيجاد أفضل الوسائل التي تجعل الأمور تسير على نحو أفضل.

سأشجع أشكال بديلة من الملكية مثل العمال التعاونيين. لكني أرى أن هذا يتعلق بإيجاد أنماط متعددة من الدعم أو الحوافز أكثر من كونه يتعلق بمحاولة فرض قالب محدد. هناك حاجة لتقديم أشكال وتجارب ومبادرات متنوعة.

س: فكرة شكل الديمقراطية الأكثر اختلافا: تعالج ذلك في الكتاب السنوي لكونيكشينز على أنه أمر بديهي، حيث كتبت "لماذا لا توضح الأنشطة الاقتصادية موقفها استنادا إلى الفائدة الاجتماعية إن كانت ستستهلك مواردنا؟" "لماذا لا يسمح للذين يعملون ويحتاجون السلع والخدمات باتخاذ القرارات الاقتصادية بشكل ديمقراطي؟"

"ألي": يبدو لي بديهي لكنه قد لا يبدو كذلك للآخرين. يعتمد هذا على وضعك، فإن كنت تعتقد أن الطريق لمجتمع جيد هو أن يتمكن الناس من مراكمة أكبر قدر من الثروات، فلن يبدو لك هذا أمر بديهي مطلقا. أي أو من بشدة بالديمقراطية. إن افترضنا أن للديمقراطية محتوى حقيقي وهو شيء ملموس فالديمقراطية في بلدنا قليل من هذا الشيء. الديمقراطية تشمل التوجه لصناديق الاقتراع كل عدة سنوات ووضع علامة X على شخص ما لن يقود هذا الحزب أو ذاك ويطيع أوامر رئيس الحزب. تعلم أن أي حزب منتخب لن يفي بالوعود التي قطعها في كل الأحوال. حتى نظام الانتخاب ليس

ديمقراطي بحق. صوت الأغلبية في الانتخابات الأخيرة في هذا البلد ضد اتفاقية التجارة الحرة ومع ذلك فرضت الحكومة الاتفاقية التي رفضتها الأغلبية.

يجب أن تتمكن من ممارسة الديمقراطية مباشرة وكثيرا حتى تتحقق الديمقراطية الحقيقية. لا يمكن القول بوجود ديمقراطية حقيقية إذا أخذت القرارات الهامة داخل قاعات مجالس الإدارات وليس على أساس ديمقراطي.

من جهة البيئة، ينبغي السيطرة على القرارات الاقتصادية. أصبح الناس أكثر وعيا بأننا جزء من البيئة وأننا نتأثر بما يفعله الآخرون، ما يضعونه في الماء، ما يفعلونه بالهواء أو التربة. الطريقة الوحيدة للتحكم بهذه الأمور هي السيطرة على مراحل الإنتاج. من المنطقي أن نمنع التلوث من البداية بدلا من إزالة آثاره فيما بعد أو أن نمنع إنتاج النفايات الغير مفيدة من البداية بدلا من محاولة التعامل معها فيما بعد. يعني هذا أننا بحاجة لمساءلة ديمقراطية فيما يخص قرارات الإنتاج.

بالنظر إلى صحة العمال، يجب تغيير طريقة صناعة القرار، فذلك له أكبر الأثر على الذين يعملون في مكان ما. إن كنت تتنفس مواد تصيبك بالسرطان، فلك الحق في معرفة ما الذي يوجد في الهواء دون سماع الهراء عن سرية الصناعات. يحق لك أن تقرر استخدام هذه المواد أم لا على أساس المصلحة العامة وليس على أساس انخفاض سعر مكون ما عن الآخر بل على أساس مدى خطره على الصحة.

مادام يتخذ مديرون أو مالكون لا يهتمهم سوى تحقيق أكبر قدر من الأرباح هذه القرارات، لن تكون كثير من القرارات سليمة من ناحية سلامة البيئة أو صحة العمال أو فائدة المنتج.

س: لقد بدأت نشاطك في الستينيات. ما هو تقييمك لراديكالية حقبة الستينيات الآن؟

"ألي": من أبرز الأفكار التي كانت سائدة في حقبة الستينيات هي أن التغيير الحقيقي ممكن حيث إنك لم تضطر للوصول إلى حلول وسط فقد كان من الممكن تغيير المجتمع تغييرا شاملا. كان فهمنا للسلطة ساذج، بمعنى أننا لم ندرك أن الطريق طويل وصعب. أعتقد أن فكرة قدرتك على الانطلاق وتغيير العالم من أهم إسهامات هذه الفكرة التي كانت تمثل إنجاز نفسي وعقلي أرسى أسس الكثير من الحركات التي ظهرت في أعقاب هذه الفترة. كانت فكرة المشاركة الديمقراطية إحدى الأفكار الرئيسية التي ظهرت في الستينيات. رغم عدم وضع تعريف واضح للفكرة، عبرت الفكرة عن الشعور بضرورة مشاركة الناس في اتخاذ القرارات التي تؤثر على حياتهم. يجب ألا تتخذ قوى غير معلومة في مكان ما هذه القرارات، بل يجب أن يتخذ الناس مثل هذه

القرارات بصورة مباشرة. هذه فكرة مختلفة كثيرا ومعارضة للنظام. تأثرت الحركات الأخرى، مثل حركة تحرير المرأة أو حركات دعم البيئة بهذه الفكرة.

س: كانت فكرة أن التحول الاجتماعي غير محدود بالتغيير الاقتصادي والسياسي، بل التغييرات العميقة في طريقة العيش والتفكير، أحد الأفكار التي انتشرت إبان حقبة الستينيات. قلت في إحدى كتاباتك أن السياسية الاشتراكية تتطلب تمحيص وتغيير الحياة اليومية وأن الرأسمالية نظام يغزو كل مجالات الحياة وأنه ينبغي أن تسود الاشتراكية على الواقع الرأسمالي. كيف يمكن ترجمة ذلك إلى أفعال؟

"ألي": أحد معاني ذلك هو أننا نحاول، فيما يتعلق بالنشاط السياسي، معاشة نظامنا السياسي والقيام بإجراءات وتنظيم يوضح المبادئ التي نؤمن بها من خلال علاقاتنا بالآخرين. من هذه الأفعال تأسيس المنظمات الديمقراطية المنفتحة والمطالبة بالاحترام المتبادل والمساواة بين الجنسين وعدم تهميش الأقليات والمناقشة الحرة وما إلى ذلك. نحن نحاول أن نعيش حياتنا على أفضل نحو ممكن كيشر ونحاول أن ندرك إمكانياتنا وأن ندعم المجتمع مع الآخرين. أرى أن التعميم أسهل من التحديد. أعتقد أنه ينبغي عليك مناقشة مواقف بعينها. ربما من الضروري التأكيد على الحاجة للتعامل مع مثل هذه القضايا. أظن أنه غالبا ما تقوم النساء بهذا الدور. أتمنى أن يتحسن أداء الرجال في هذا الشأن.

س: ما رأيك في الأشكال الأكثر راديكالية للتجربة الاشتراكية مثل العلاقات الجنسية بين أكثر من فردين والحرية الجنسية عدم الالتزام بعلاقة مع فرد واحد وترتيبات الأبوة المختلفة؟

"ألي": بالتأكيد أدم محاولات تحرير الذات من القيود المجتمعية والأخلاقية. من البديهي أن تكون بعض التجارب أفضل من الأخرى أو يحكم على بعضها بأنها جيدة. رأينا كثير من الحماقات كما رأينا الإيجابيات والإبداعات، لكن هكذا يكون الحال عندما تختبر الأشياء. أنا ضد الغوغائية بخصوص هذه الأشياء. لا يمكنك أن تقول على مؤسسة اجتماعية راسخة مثل الزواج "أنها سيئة، فلنهدمها." وكأنها شيء ينبغي إغائه من الوجود. لا يمكن هدم أشكال من العلاقات الإنسانية بالمعول. نحن بحاجة للتساؤل حول موقفنا من أمور مثل الزواج والعلاقات الجنسية والتفكير فيما يمكن فعله لخلق أشكال حياتية متحررة وداعمة.

س: هل تؤيد الزواج الذي يسمح للزوجين بإقامة علاقات جنسية مع آخرين؟

"ألي": لا أؤيده ولا أرفضه. لا يمكن أن يكون هناك نموذج أوجد يصلح لكل الحالات. ليس من السهل أن تجرح نفسك أو الآخرين. يجب أن تكتشف احتياجاتك وما الذي يلائمك وأن تختبر كل شيء جيدا. قد يكون هذا الزواج خطير جدا للبعض وهو بالفعل كذلك في مجتمعنا. بالنسبة لي، الزواج طريقة مناسبة لإقامة علاقة جنسية مع شريك واحد. قد لا يلتزم الكثيرون بعلاقة مع شريك واحد فقط كما يظنون. يقيم حوالي 70% من الرجال المتزوجين و50% من السيدات المتزوجات في أمريكا على الأقل علاقة جنسية أخرى مع طرف آخر. لكن هذا يتم في سرية. أعتقد أنه يجب على الذين يلتزمون بالتغيير الاجتماعي أن ينتبهوا لمواقفهم من هذه الأشياء. بالتأكيد أعرف رجال لا يرون بأس في خيانة نساءهم بينما لا يريدون شريكاتهم أن يفعلن ذلك.

على أي حال أرى أن جهود تحرير الحياة اليومية والعلاقات من القيود عامل رئيسي من عوامل التغيير الاجتماعي. تقف النساء وآخرون مثل المثليين جنسيا والذين يقيمون علاقات جنسية من الجنسين، الذين لا يرون بأس في التمتع بالعلاقات الجنسية، في المواجهة في هذا الموضوع أيضا. المجتمع يتعامل مع العلاقات الجنسية بطريقة سيئة للغاية. نحن بحاجة لأن نتعامل بطريقة مريحة أكثر مع علاقاتنا الجنسية وأجسادنا. نحن نستخدم الصور الجنسية لبيع المنتجات بينما نضطهد الداعمين لمذهب العري، نحن بحاجة لقبول مذهب العري والتمتع الصادق بالعلاقة الجنسية والتوجه نحو مذهب عري أفضل والإقلال من الاستخدام المنحرف للجنس كسلعة في وسائل الإعلام.

س: يختلف هذا مع جانب من الحركة النسائية؟

"ألي": نعم مع جانب منها فيما يخص هذا الأمر. لا أشك أن حركات تحرير المرأة قوة إيجابية عظيمة، حيث إن لها عظيم الأثر على كل المجالات في المجتمع وواجهت الكثير من الأمور التي يجب التصدي لها. لقد أحدثت تحول في حركة التغيير الاجتماعي والمجتمع بوجه عام، لكن ما يزال لديها الكثير لتقوم به.

انتقد اتجاه بعض الجوانب الواضحة من الحركة النسائية. رغم العمل على قضايا مثل العنف ضد المرأة والإجهاض، الكثير من قائدات الحركة يرون أن هدفهن هو المشاركة في السلطة والثروة داخل النظام وليس تغيير النظام وحصول النساء على نصف مقاعد مجالس إدارة الشركات عوضا عن إبعاد السلطة الحالية والثروة عن هذه الشركات.

س: قد يغير تولي المرأة المناصب طبيعة السلطة وطريقة استخدامها؟

"ألي": لا أرجح ذلك. أؤيد حصول النساء والفئات المستضعفة على نصيبهم، لكن حصول النساء والأقليات على نصيب من السلطة لا يغير جوهر طبيعة السلطة. أثبتت النساء اللاتي يعملن بالسياسة أنهن يستطعن أن يكن بقسوة الرجال الذين يعملون في هذا المجال. يمكن أن يكون القادة السود مثل البيض. لا يمكن أن يكون من الجيد أن تتعرض لظلم واستغلال سيده أو شخص من العرق نفسه، رغم أن ميزة هذا أنه يجعل جوهر بنية السلطة أكثر وضوحا.

س: لكن ألا يمكن أن يكون الإذعان لسلطة الرجل أمر يخص النساء وطريقتهن لتحقيق ما يردن؟ أليس هذا سبب إرتدائهن سترات فضفاضة؟

"ألي": على الجميع، بما فيهم الرجال، الخضوع لبنية السلطة. على الرجال أيضا ارتداء السترات وربطات العنق سواء رضوا أم لم يرضوا. لبنية السلطة حملها الثقيل وهو الجمود. غالبا ما تكون المنظمات النسائية أو تلك التي تديرها النساء أكثر أنانية من تلك التي يديرها الرجال. ستجد التسييس والطعن في الظهر وما إلى ذلك في منظمات النساء وفي كل مكان.

إن نظامنا تراتبي وهذا ما يجعله سلطوي مستغل. من أهم خصائص هذا النظام أن الرجل يهيمن عليه. لكن قد يتغير ذلك مما ينتج نظام جديد تتحقق فيه المساواة بين الجنسين لكنه يكون نظام ظالم واستغلالي لأقصى درجة. قد تكون تسمية النظام بأنه نظام يسيطر عليه الرجل مضللة لأن لهذا النظام خصائص مميزة. هناك معنى اجتماعي أشمل يشير لحصول الرجل على سلطة أكبر وامتيازات أكثر والأزواج على سلطة أكبر وامتيازات أكثر وفرص أفضل في مجال العمل من زوجاتهم. على هذا المستوى، يتمتع أغلب الرجال نسبيا بامتيازات أكثر. عدم المساواة من هذه الناحية من المشكلات الأساسية وصور الظلم في مجتمعنا.

كذلك إن كون أغلب الحكام من الرجال حقيقة. هذه الحقيقة ذات صلة بالحقيقة السابقة فليست هذه مصادفة. لكن استخدام هذه التسمية يوحي بأن 13 مليون رجل في كندا يحكمون البلد وهذا ليس صحيح، فأغلب الرجال لا يمتلكون هذه السلطة. 100000 من النخبة في كندا: حسب تقديري، وربما 80% منهم رجال يتمتعون بهذه السلطة، بينما الباقي لا يتمتعون بهذه الدرجة من السلطة أكثر مما تتمتع به النساء اللاتي ينتمين للنخبة. ليس لرجال الطبقة العاملة نصيب أكبر في السلطة الممنوحة لمدير تنفيذي في شركة ما أو لأحد الوزراء من نساء الطبقة العاملة، فكلاهما لا يمتلكان أي نصيب من السلطة.

ينشغل النساء اللاتي يريدن أن يصبحن جزء من هذه النخبة أو تتمتع بسلطة داخلها بفكرة أن الرجال يستحوذون على النصيب الأكبر من السلطة. إنهن يردن الاستحواذ

على نصف السلطة. هذا يعني أن نصف الظالمين سيكونون من النساء. لا أقول إنه لا يحق للنساء أن يحصلن على نصف كل شيء، فبالأكيد سيحسن ذلك نسبة مشاركة النساء في المجتمع بشكل عام، فسيكون هناك مساواة في الأجور واهتمام بدور رعاية الأطفال وبالأمان في الشارع. هذه الأمور على جانب كبير من الأهمية وأنا أدمهم تماما، لكن تبقى حقيقة اقتصار أجندة عمل نساء النخبة التي تسيطر عليها الحركة النسائية على هذه الأمور فقط. هذا يعني الاتجاه نحو خلق مجتمع رأسمالي غير ديمقراطي ومدمر بيئيا تتحقق فيه المساواة بين الجنسين.

س: هل تعني أن الطبقة الاجتماعية أهم من النوع؟

"ألي": نتحدث عن الأسس. أعتقد أن العلاقات بين الطبقات هي المحرك الأساسي للعالم، فهي التي تحدد النظام بالأساس أكثر من أي شيء آخر. ربما يضلنا استخدام كلمة "هام" حيث يحتكم هذا للقيمة. إن كان ظلم النساء أو البيئة أو العرق أو الديانة أو القومية أهم، في رأيك، من الطبقة الاجتماعية. من أنا لأجادل في ذلك؟ لكنني أعتقد أن أساس نظامنا الاقتصادي هو العلاقات بين الطبقات الاجتماعية، خاصة بين رأس المال والعمل، فهذا هو الذي يحدد ما الذي يحدث للثروة ومن الذي يملك السلطة وسباق صناعة القرار وأماكن سكن الناس والعمل الذي تقوم به والشخص الذي تقوم بالعمل من أجله.

إن تفكرت في الأمر، سيمكنك تخيل بنية السلطة قائمة على قضايا النوع، حيث يسمح للنساء بالحصول على نصف الكعكة. رغم أن ذلك لن يعجبهن، إلا أنه يمكن تخيله. سيتمكن النظام من الاستمرار. يؤيد أعضاء النخبة الأبعد نظرا ذلك لاعتقادهم أنه سيجعل النظام أقوى، لكن لا يمكن تخيل نظام يقوم على طبقة أو على تقسيم المجتمع إلى قسم يملك وسائل تحقيق الثروة وقسم لا يملك. يعني هذا انتفاء الوجود، والسماح للنساء بالمشاركة في النظام لا يعني انتفاء الوجود. بهذا المعنى الطبقة الاجتماعية هي أهم العلاقات وأصعبها والنقطة الأكثر عرضة للهجوم.

س: ماذا عن العمر؟ هل يصبح الإنسان، في سياق التغيير الاجتماعي، أكثر تحفظا مع التقدم في العمر؟ هل يصبحون أكثر حكمة؟

"ألي": التقدم في السن من العوامل البيولوجية الهامة وليس عندي العمر بأكمله للحكم على ذلك. يمكن للعمر أن يؤثر على أنشطة الإنسان السياسية خاصة أن العمر مرتبط بمراحل الحياة الطبيعية الأخرى مثل الأطفال والمسؤوليات المالية، إلخ مما يدفعك للانسحاب.

لكن بصفة عامة، أرى مبالغة في الحديث عن مدى تأثير العمر بهذا المعنى. أعرف ناس ملتزمين سياسيا الآن مثلما كانوا أصغر بعشرين أو خمسة وعشرين عاما. قد يعرف أي فرد مشترك في حركة التغيير الاجتماعية نشطاء يمارسون نشاطهم السياسي لثلاثين أو أربعين أو خمسين عاما، وهذا ليس بالشئ النادر. الكثير من الشباب متحفظون للغاية. قد يكون للعمر بعض التأثير لكنني أعتقد أنه يستخدم كوسيلة لوضع الناس في قوالب نمطية وخلق تقسيم لا داعي له أو لا أهمية له. من الممكن تخطي حاجز العمر والتواصل وإيجاد قضية مشتركة إذا أردت.

أما بخصوص أن الانسان يصبح أكثر حكمة مع التقدم في العمر، دعني أقول أن التقدم في السن يمنحك فرصة لأن تصبح أكثر حكمة لأنه يتيح لك القيام بأمر أكثر وارتكاب أخطاء أكثر والتعلم منها والقراءة أكثر. لاحظ أن الكثيرين لا يستغلون هذه الفرصة، فالحمقى الصغار يكبروا ليصبحوا حمقى كبار. لكنني أعتقد أن على حركة التغيير الاجتماعية التعلم من خبرات أعضاء الحركة الكبار، حيث إنهم تعلموا ومروا بتجارب كثيرة وأصبحوا أكثر حكمة. إن حاولنا أن نتعلم منهم، سنستفيد من حكمتهم. أعتقد أنه من الهام بذل المزيد من الجهد لجسر الهوة بين الأجيال.

س: تركز الجزء الأكبر من جهدك في مؤسسة كونيكشينز. كيف ترى تراها وترى مدى تناسقها مع الحركة الاجتماعية في كندا؟

"ألي": لا يوجد حزب أو قوة سياسية قومية ملتزمة بتغيير اجتماعي جوهري سواء في كندا أو في أي مكان آخر، حتى الحزب الديمقراطي الجديد لا يرقى لهذه الغاية. هناك الكثير من المنظمات الرئيسية والائتلافات خارج الحزب الوطني، لكنهم مشتتين. أريد أن أرى بزوغ حركة أكبر وأشمل موحدة تنسق بين أنشطتها بصورة أكثر فاعلية. تسهم كونيكشينز في هذا من خلال محاولة تزويد الناس بالمعلومات عن أنشطة المجموعات الأخرى وطريقة تفكير النشطاء وتجاربههم سواء كانت ناجحة أم لا، والاستراتيجيات التي ابتدعوها وما يقدمونه من مصادر. هذا بالإضافة إلى تزويدهم بمعلومات عن كيفية الاتصال ببعضهم البعض لتعريفهم بوجود مجموعات أخرى تقوم بأنشطة مشابهة وأرقام هواتفهم وعناوينهم. وبهذا قد تتصل بهم أو تعمل معهم. نحن نقدم معلومات عملية.

وكذلك لتبادل أفكار النشطاء المتعلقة بالنشطاء الآخرين والعامّة ولدفع الناس للتفكير في موضوعات محددة مثل التحالف مع الآخرين ووجود رابط بين القضايا وإدراك وجود علاقة بين القضايا البيئية وقضايا السلام ونمو دول العالم الثالث وحقوق الإنسان وقضايا المرأة والسكان الأصليين.

نحاول تشجيع الناس على ألا تكون نظرتهم للأمور قاصرة، حيث إن أحد أسباب تراجع المنظمات الرئيسية في كندا هو طريقة نظرهم للأمور، فهم يميلون للقول: "نحن

معنيين بالسكن أو السلام أو نحن معنيين بهذا المجتمع فقط." رغم أهمية هذه القضايا، فهناك شعار يقول "يجب أن تفكر عالميا وتتصرف محليا." إذا لم تحاول ربط هذه الأشياء بالقضايا الأخرى، فأنت بذلك تحد من قدرتك وفعاليتك.

لذا فأنا أحاول من خلال كوني كاشينز القيام بدور في تشجيع الناس على رؤية الروابط بين القضايا واتخاذ بعض الخطوات المنطقية التي تتبع من إدراك وجود روابط وتحليل تلك الروابط واكتشاف، من الناحية العملية، القواسم المشتركة بينهم وبين الآخرين الذين يعملون في مختلف المجتمعات وفي مختلف القضايا. إن أمكنك إدراك أن نضالك هو نضال شخص آخر أو أن مشكلاتك وهمومك جزء من الصراع ذاته، فسيكون من الممكن تكوين حركة أقوى وأكثر فاعلية.

للحركة العمالية شعار وهو "ظلم الفرد ظلم للجميع." إن كان هذا هو منهجك فستدرك أن التضامن والتعاون والدعم المتبادل، سمة ما شئت، هو واجبك نحو أخيك الإنسان ومراعاة عقلانية لمصالحك. يعني هذا أن تذهب وتقدم الدعم عند الحاجة وعند الطلب، فهذا يساعد الآخرين في صراعاتهم، حيث إن دعم الآخرين لهم سيعطيهم ثقل وفرصة أفضل لتحقيق شئ ما ويشعرهم أنهم أقوى وأكثر ثقة بالنفس وهو ما يمثل الجزء الأكبر من المعركة. ويساعدهم ذلك أيضا على إدراك وجود شئ مشترك وهو ما قد يصبح أساس للعمل المشترك ويشجعهم على رد هذا الدعم.

ما تقوم به على هذا المستوى هو الربط بين التحليل السياسي والطبقي والتضامن الأساسي ووساطة القوة العملية، وقد ثبت أنهم يمثلون شيئا واحدا. تستطيع الآن أن تذهب للناس وتقول لهم: "نحن ساعدناكم ونحن الآن بحاجة لمساعدتكم في هذا الصراع الذي نخوضه." لديك الآن قاعدة تستند إليها في طلب الدعم عند الحاجة، إذا دعمتهم عندما كانوا بحاجة لذلك.

ينبغي على الذين يعملون من أجل التغيير أن ينتبهوا لذلك الأمر وهو أنه من مصلحة الناس العمل معا ودعم بعضهم البعض وتشكيل تحالفات وائتلافات.

س: فأنت غير نادم على شئ إذن؟

"ألي": ارتكبت أخطاء ندمت عليها وأعتقد أن كلنا يفعل ذلك. لكن من ناحية الطريقة التي قررت أن أعيش بها حياتي، فأنا غير نادم على شئ. أحيانا أتمنى لو أن بعض الأمور سارت على نحو أيسر لكني لا أنجر للإشفاق على نفسي. عليك أن تصنع سعادتك ببديك من الفرص التي تعطيها لك الحياة أي كانت تلك الفرص. وأنا شخص سعيد جدا بطبيعتي. في الواقع إن أهم الأشياء هي حس الدعابة والقدرة على الضحك على عبثية الحياة وكذا الضحك على حالك.

س: وهل ألي ديمير الموجود الآن يجد سعادته في كونه رجل سياسى.

"ألي": لدي اهتمامات أخرى. لقد أتهمت أكثر من مرة بكوني انتقائيا للغاية وليس سياسيا بالدرجة الكافية. هذه استراتيجية أخرى للحفاظ على قواي العقلية وعدم الشعور بالإرهاق الشديد بسبب العمل. لكني مازلت أعمل على تغيير العالم، فهذا ما أنا عليه.

س: رغم طول المدة اللازمة لتحقيق ذلك؟

ألي: رغم طول المدة. لكني أو من بالاستمتاع بالحياة وعدم أخذ الحياة بجدية شديدة.

حواشي:

1- "السكين هيد" حركة ظهرت في الستينيات في إنجلترا ثم انتشرت في أنحاء أخرى من العالم.